

الكلمة تحولت « فلسطين الثورة » التي كان كمال ناصر يرئس تحريرها الى أداة حقيقية من أدوات النضال .

في القسم الآخر من الآثار النظرية ، نقرأ مجموعة من الصفحات بعنوان « على صدوركم باتون . مذكرات اسر فلسطيني في السجن الكبير » . نتعرف على الشق الآخر من « سداسية الايام الستة » التي كتبها اميل حبيبي ليؤرخ بشكل فني مذل للاحتلال ، من قبل حرب المناطق المحتلة ١٩٤٨ . هنا ، مع مذكرات كمال ناصر نكتشف القسم الثاني ، الطرف الآخر ، وقع الهزيمة على أهل الضفة الغربية ، والبدايات الصعبة للمقاومة الجهادية المسلحة. نقرأ عن اللقاء بمدن فلسطين وقراها . تلك الرمشة الوطنية التي خلقتها الاحتلال في سكان المناطق المحتلة بعد الهزيمة . ونكتشف مع كمال ناصر التجارب النضالية المبررة التي عاشها العرب في اسرائيل ، وعن الروح القومية العالية التي لا تطين ولا تستسلم . الحوار الوحيد الممكن كان ذلك الحوار الذي أجراه كمال ناصر بوصفه معلما في الضفة مع موشي دايان . عندما بدأ دايان جولاته الارهابية المبطنة في المناطق المحتلة . هنا نكتشف ان الحوار كان مقدما للقتال الذي لا بد منه . فالحوار مستحيل كما في قصص كنفاني ، لان القتال وحده والمقاومة الجهادية المسلحة هو الذي سيسحق العدو . في السجن الكبير ، نكتشف مع تجربة كمال ناصر شباب الثورة العربية وهو يولد من جديد ، في اصرار الشعب الفلسطيني على رفض الذل والانسحاق . هكذا وببساطة كاملة تصبح الكلمات مجرد اشارات للايصال ، والتركيب يمزج بين الطابع الصحفي السريع وطابع الذكريات الحميمية ، لتتفرغ على آلام الولادة الاولى بشكل واضح وبسيط . يخرج البطل الفلسطيني وهو يمسك بالسخرية حين لم يكن هناك بنديقة ويجلس على شاطئ حيفا ، ثم حين يلتقي بالنصف الآخر من جسده الممزق ، تعود اليه الحياة مباشرة بالقتال الذي يعيد صنع الانسان من جديد .

في « مذكرات اسر فلسطيني » ، نكتشف لماذا طرد كمال ناصر من الارض المحتلة . ولماذا اطلقت الرصاصات في منه . ونكتشف ان الشعب يستطيع كل يوم ان يجدد شبابه ، لان الثورة قادرة على خلق مسار خاص وجدلية ثورية خاصة .

يرفرق بين الحراب
مصيري مصيرك بين الحراب
وهذا الذهاب !! «

اذا كان شعر كمال ناصر يتمحور حول الوطن ، فان لهذا التمحور عذابات لحظات الفشل والعزلة . تلك اللحظات التي يستجمع فيها المناضل كل الحنين الى النضال ، طعم المرارة الذي يعترج فيه صوت العزلة ، بالصبر والالم . هنا يتخلى كمال ناصر عن الكلمة - الصدى ليبحث عن الكلمة الحميمية التي تصل الحزن بالانتظار :

« يا من رأى مظلي تضع
تهجرني في موسم البكاء والدموع
تهجرني ،
ومقلة السماء لم تزل
تحتاني ،
تفهرني ،
بالماء والصقيع » .

يشير د. احسان عباس في مقدمته الى أزماتين كبيرتين تعصفان بهذا الشعر . « أزمة الخضرة » ، و« أزمة الموضوع الكبير » . والواقع ان التعامل النقدي مع هذا الشعر مستحيل ، لانتنا نكتشف ان كمال ناصر لم يكن يهتم للانصراف الى العمل الشعري ، لصقل صوته الشعري والاهتمام به . لذلك جاءت تصانده لحظات استراحة تتعلق حول اولوية الممارسة ، فهي شهادة على الجسد الذي ينزف حبا ودما .

في احدى افتتاحيات « فلسطين الثورة » يكتب كمال ناصر مقالا بعنوان « على طريق الشهادة » بعد استشهاد غسان كنفاني « هبة جديدة يجب ان يعتمها استشهاد غسان في نفوسنا ، وهي ان لا تنتظر الموت والاستشهاد احيانا . بل نمشي اليه ، يجب ان نمشي اليه في كل مكان قبل قوات الاوان وحتى لا نعطش كما عطشنا في ايلول ، وتشرين ، وكانوا على مدار الاعوام نحن ومعنا كل الشرفاء والثوار في العالم ... »

هكذا كانت افتتاحيات فلسطين الثورة . محاولة من موقع المسؤولية الثورية للتشديد على ضرورات العمل الفلسطيني الاولى . الوحدة الوطنية ، ضرورة استمرار الثورة . اكتشاف عبر النضال الثورية لا سيما في غياتنام . وبروحية مسؤولية